

شقق الناس

فيسبوكيات النخب الثقافية



ياس خضير البياتي

الامارات

مؤخرا التحق أطباء الأمراض النفسية بركب فيسبوك، ووجدوا في دهاليزه ما يساعدهم على فهم أفضل لمرضاهم، وبدأ بعضهم يتحدث عن صفحة شخصية بإمكانها أن تعوض سرير الطبيب النفسي، فالصور يمكن أن تعكس سلوكيات الفرد وحالته النفسية، ويمكن لتحدييات فيسبوك والصور أن توفر ثروة من المعلومات عن المستخدمين حسب دراسة نشرت بدورية (لا نسبت) للطب النفسي، كما يمكن قراءة نفسية الشخص الذي يتعاطى فيسبوك، ولأحظت دراسة جامعة كامبريدج البريطانية، وفي هذا السياق قدمت الباحثة إليزابيث مارتن من جامعة ميسوري الأميركية بحثا خلصت فيه إلى أنه يمكن قراءة نفسية الشخص الذي يتعاطى فيسبوك، ولأحظت مثلا أن الشخص الذي يبذل دائما صورته الشخصية ربما يعاني فقدان الثقة، أو فقدان للعلاقة الحميمة، أو نرجسية مرضية، أو شعور بالأضطهاد أو الفشل، وربما كان أحد أسباب استهلاكهم هذه الوسيلة هو (إسقاط حاجتهم النفسية المكبوتة التي لا يستطيعون إظهارها في الواقع، والإسباع حاجاتهم النفسية المفقودة)، العراق، حسب الدراسات النفسية والاجتماعية العربية والدولية الأخيرة، أصبح موطن الأمراض النفسية كالكتئاب والذبحية والنرجسية وانقسام الشخصية والسادية بعد الاحتلال، حيث لاحظت هذه الدراسات بان النخب الثقافية والعلمية هي الأكثر وضوحا وممارسة في السلوكيات المرضية من العامة، لأسباب كثيرة بعضها يعود إلى أنها هي أصلا مصابة بهذه الأمراض نتيجة إحساسها الدائم بالظلم والأضطهاد والقهر والعزلة. لذلك ظهرت النرجسية المختلطة في شخصيتهم، فلا يمر لحظة في أي مكان دون التقاط الصور لأنفسهم ورفعها على صفحاتهم، وما بين أهدى دون كل ما يجول في خاطره، ولو كان حول طعامه وشرباه وما يليسه في يومه، وبعضهم يفخر أنه أنه شبه بالفنان الغلاني وبطلواته الغرامية رغم دخوله شيخوخة العمر وفقدانه لمطابقة الجنسية ، وآخرون يتبجحون بزياراتهم الدينية إلى المراكز الدينية لحصولهم على الأجر والثواب ،آخرو يستعرض مرضه بالتفصيل للمل من الألف إلى الياء، حتى يتنازى أشبه بمسلسلات تلفزيونية تؤرخ لكل حركة وهمسة وإيماءة، وكلها في علاقة بمتابع فيسبوك، لأنها خصوصيات فردية غير صالحة للنشر والتبليغ، ولأنني لا أريد أن يكون مثل هذا الموضوع صغفيا فقط بدون سند علمي، فقد قمت بدراسة هذه الظاهرة في بعدها الاجتماعي والنفسي في بحث علمي سينشر في مجلة بحوث العلاقات العامة المصرية قريبا، حيث وصلت إلى استنتاجات علمية من خلال تحليل مضمون منشورات النخب العلمية والثقافية العراقية لمدة 6 أشهر على موقع فيسبوك باستخدام المقاييس العلمية، وأساليب المنهج البحث العلمي، حيث تم اختيار 200 عينة من الأدباء والفنانين وأسائنة الجامعة والبيئات الشهادات العليا من الرجال فقط، ومعيذا عن تفاصيل البحث ومنهجه وتكنيكه وطرقه الإحصائية المتبعة التي لا مجال ذكرها في هذه المقالة، فقد لاحظت الدراسة ان مرض الاكتئاب والنرجسية والنفاق الاجتماعي وازدواجية الشخصية وانقسامها يسيطرون على محتوى المنشورات المنشورة من خلال المقاييس العالية لهذه الأمراض. كالاستخدام المستمر لضمير المتكلم (انا)، الذي يعكس انشغال الشخص بمشاكله وهمومه فقط، مثلما يعبر كذلك عن نرجسيته المرضية، كما لوحظ بان التعليقات تميل إلى الشعور بالوحدة والحزن والتعب والتناقض والأضطهاد والإصابة بأمراض جسدية التي ترتبط غالبا بالاكتئاب. كما لاحظت الدراسة ان ظاهرة النرجسية التي تعرف بأنها (اهتمام استثنائي أو عجب الذات)، أصبحت أشبه بنشاط رياضي في فيسبوك، وتعتبر عن مستوى متضخم ومتطرف من حب الذات والالتزام الزائد بالنفس لصالح إشباع رغبة الرضا عن الذات، والمبالغة في أهميتها وقدراتها ليعمل إلى مرحلة (اضطراب الشخصية النرجسية) وضمن مقاييس المنهج النفسي، فقد وجدنا ان هناك تسعة معايير في منشورات النخب الثقافية تتطابق مع ما هو منصوص عليه في الدليل التشخيصي والإحصائي الذي يستخدمه أطباء النفس والباحثون حول العالم وهي :احساس متعاطف بأهمية الذات ،وبخالات بالنسج والذبحية ،واعتقاد بخصوصية الذات وتقديرها ،والمبالغة بتلقي إعجاب مفرط، واحساس بالاستحقاق، والالتزام باستغلال الأشخاص، والافتقار إلى إظهار التعاطف مع الآخرين، والسند من الآخرين، واستظهار سلوكيات واتجاهات متغضرة متعجرفة. وأظهرت الدراسة أيضا بروز ظاهرة سماها بعض الباحثين (متلازمة نوجيهن) التي تعرف بأنها مجموعة الأعراض المرضية التي تظهر بشكل متلازم ومتتال نتيجة عادات الانسان السيئة ،وهي ظاهرة النفاق الاجتماعي ،وبوجود شخصيتان منفصلتان ، شخصية افتراضية فانتازيا موجودة فقط على فيسبوك وغيرها من وسائل التواصل ،وشخصية أخرى واقعية مناقضة للشخصية الأولى لا بل قد يصل الأمر أن يشك الانسان هل هذا الشخص في العالم الافتراضي هو نفسه الذي عرفناه في الواقع؟ علينا ان نلتفت النظر، من باب العلمية، بأنه ليس كل العيانات مصابة بالأمراض النفسية، وليس كلها بنفس قوة الدرجة من المرض، لكن معظمها تعاني من تضخم مرضي في الذات، وسرطنة في النفاق الاجتماعي، وازدواجية في الشخصية، واكتئاب متناصل في الجينات إذا صح التعبير، وذلك بنسبة 89.7 بالمئة مقارنة بالآخرين الذي لم تتحقق بيانات ومقاييس البحث أصابتهم بالمرض وهم 1.3 بالمئة. باختصار، صفحة فيسبوك مرآة لشخصيتنا وسلوكنا، هي عيادة نفسية لمعرفة أمراضنا التي نجد فيها ذواتنا وذوات الآخرين فنفسر الجذع في عيون الأغيار، ولا نرى الجذوع في أعيننا، لكن المشكلة الحقيقية كما يرى البعض هي تجاوز أمراضنا النفسية ،وعلى رأسها الفصام والنرجسية والنفاق،هي في الاستجمائز الأخلاقي، والحول القيمي في نظرتنا للأمور، المشكلة أيضا في الحشورية ،ونسيان أخطائنا الماضية، والتعامل مع الآخرين من منطلق تعالي المثالي على الخطأ، وفي هوس الرواية، وحب الذات المريضة ، وتعليق المشائق للشخص، وتعليق أطواق الياسمين للشخص آخر اقترف نفس الخطأ، هو بالمجل خلل واضطراب وتشوش رؤية ومرض نفسي بامتياز. خوارزمية فيسبوك، هي لعبة الانسان الجديد، يخفي به إخفاقاته وإحباطاته، وانكسار أحلامه الكبيرة والصغيرة معا، ويعرض به ما كان ينقصه أو ما يمكن ان ينقصه حسب توترات النافس وتطوراتها، لذلك لا شيء محسوب علميا في عالم فيسبوك، هو ليس شرا مطلقا، لكنه قد يكون وصفا مجدبة للتخفيف من رهاب المجتمع، وصعوبة إثبات الذات، مثلما قد يكون استخدامه تدريبا رياضيا لثقف بكتريا النفاق والمجاملات الفارغة، وجرعة دواء مر، لمن تضخم لديه الغدة النرجسية الشطة بحب الذات وتدمير الأخر.

فكان الكرد والدليمج واهل الموصل هم الثلاثي الذي تم توظيفه -مع إن هناك الآلاف من أبناء هذه المكونات ضمن الموالين للسلطة، إلا إن تلك المحاولات لم تحقق اهدافها.. كان الشعب يسلمها ويضحك، بما فيهم المكونات الثلاثة، من دون الإنشغال بها، وفي حدود ما يقع في ذاكرتي، فقد كان الشوارع يستقبل مئة نكتة سياسية موجعة مقابل كل نكتة تطلقها الحكومة.. ومن باب الإستشهاد لا الحصر، هناك نكتة مفادها أحد الصحفيين سال خبيسر الله طلفاح - خال الرئيس وابو زوجة- عن صحة الأخبار التي تتداولها الناس بشأن استيلائه على اراضي الدولة، فرد عليه: كل هذا الكلام كذب وشائعات، فانا لا أمتلك في بغداد سوى قطعة ارض، إحداهما تدعى الكرخ، والأخرى الرصافة؛ ثمة ما يستحق التنويه، وهو إن عموم النكات السياسية العراقية، تتميز بكونها مصنوعة بعناية، وذكية الإشارة والتلميح ومهذبة، أما بعد 2003صعودا، فتراجعت النكتة السياسية بتقليديها القديمة تراجعاً كبيراً، حيث لم تعد بها حاجة إلى ذلك التحفظ وتلك السرية بعد أن اتاحت معرفة، ولهذا صدر القاضي حكماً بسجنه لمدة 9 اشهر لكونه يجهل بان رئيس الوزراء طاهر يحيى هو أبو فرهود !!بعد صعود حزب البعث إلى السلطة 1968ثم انتقالها إلى صدام حسين اتسعت رقعة 2003-1979 واتخذت مسارات تحاكي المرحلة، ولكن الملاحظة الرئيسية حقاً، هو إنها فقدت اي تأثير لها في الشارع او على النفاق، لأن المسؤولين هم من تولى عملية النقد والتفقد الساخن لأنفسهم وللعملية السياسية، ومن ثم ما الذي يمكن ان تقدمه النكتة اكثر من مقال ويطرح من أصحاب الشأن؟ وخلاصة الامر إنها فقدت فاعليتها المؤثرة واصبحت في مواقع التواصل الاجتماعي لأغراض الضحك... والضحك فقط!

تواصلها 35سنة وكذلك بسبب تطرف النظام، في حين لم يستمر الحكم العراقي أكثر من 4سنوات، ومع ذلك ولأغراض التوفيق فإن ولادة النكتة السياسية تمت في المرحلة العارفية، على الرغم من إن جذورها تمتد إلى النظام الملكي ثم القاسمي، ولكنها لم تحتل حيزاً واسعاً من الحياة العامة، ولم تتحول إلى ظاهرة الا بعد وصول عبدالسلام إلى السلطة..

**النكتة السياسية**

ركزت النكتة السياسية في المرحلة العارفية على الجانب الاقتصادي وقضايا الرشوة على وجه التحديد، من ذلك على سبيل المثال، ان الشارع بدأ يطلق لقب ابو فرهود، على رئيس الوزراء يومها طاهر يحيى، وقد تبادلت الناس النكتة التالية مواطن مخمور كان يتبرخ في الشارع ليلاً وهو يردد هذه العبارة - اشسويت بيته ابو فرهود- وحين القي رجال الامن القبض عليه واحالوه إلى المحكمة، ساله القاضي: من هو ابو فرهود؟ فانكر الرجل معرفته به، وانه سمع هذا الكلام وراح يردد وهو في حالة سكر.. ومع الصباح القاضي عليه، الا إنه اصبر على عدم معرفته، ولهذا صدر القاضي حكماً بسجنه لمدة 9 اشهر لكونه يجهل بان رئيس الوزراء طاهر يحيى هو أبو فرهود !!بعد صعود حزب البعث إلى السلطة 1968ثم انتقالها إلى صدام حسين اتسعت رقعة 2003-1979 واتخذت مسارات تحاكي المرحلة، ولكن الملاحظة الرئيسية حقاً، هو إنها فقدت اي تأثير لها في الشارع او على النفاق، لأن المسؤولين هم من تولى عملية النقد والتفقد الساخن لأنفسهم وللعملية السياسية، ومن ثم ما الذي يمكن ان تقدمه النكتة اكثر من مقال ويطرح من أصحاب الشأن؟ وخلاصة الامر إنها فقدت فاعليتها المؤثرة واصبحت في مواقع التواصل الاجتماعي لأغراض الضحك... والضحك فقط!

واستطاعت تطويره تطويراً كبيراً، وفي المقدمة من ذلك وسائل الإعلام والصحافة بينها على وجه الشيعوع والكثرة، حتى تحولت النكتة على صفحاتها إلى فن ساخر رفيع المستوى سواء من خلال الرسم الكاريكاتيري او عبر المقالات الساخرة، ومع ان رسامي الكاريكاتير وكتاب العمود الساخر ليسوا جديدين على هذه الساحة الا انهم عاشوا معاناة الشارع وايدعوا الى حد كبير في توظيف النكتة توظيفاً فنياً ولماحاً وذكياً، ولا يمكن ان نغفل ما شهده المسرح العراقي في هذا المجال بغض النظر عن تطرفه احياناً فيما عرف يومها بالمسرح التجاري.

ان الملاحظة الاساسية على النكتة العراقية وتحسيناتها عبر الكاريكاتير والصحافة الشعبية نفسها، هو تخلصها الواضح من ان تكون مجرد طرفة تثير الابدانة وتنتهي، ذلك لأنها أصبحت تعبر عن "سوقف"، وعلى وفق هذه المعالم الرئيسية، يمكن الاقتراب من النكتة السياسية التي شهدتها العراق الحديث والمعاصر، حيث اتسمت بامتيرين رئيسيين، فهي من ناحية سلاح يمتلك قدرة تأثير فعالة، طالما اخرجت الأنظمة واقلقتها ودفعتها غير مرة إلى اصدار عقوبات قاسية ضد من يتداولها، وهي من ناحية أخرى مجهولة الأب والام ويمكن الولادة، وربما تسبب هذا التخفي إلى حد كبير، في اتحاب السلطة ووضعها في متاهات مفتوحة، مرت النكتة السياسية العراقية في مرحلتين، الأولى بين أعوام 1964-2003 والثانية بعد 2003 وتشمل المرحلة الأولى نظامين هما: العارفي عبدالسلام محمد عارف وشعشبق عبد الرحمن 1964-1968 والبعثي 1968-2003 ويبدو واضحاً من الوقوف على سنوات الحكم، ان المرحلة البعثية تتسيد المشهد نتيجة

جديدة ازدهر فن النكتة لديها واكثر اهمية، ونحن مضطرون الى قلب اوراق الجغرافيين حيث يتفق الجميع، على ان مناخ العراق حار جاف صيفاً، بارد قليل المطر شتاءً، ومناخ اي بلد لا يتحكم فقط في مهن الناس وحرفهم وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم واغانيمهم، بل يتحكم إلى حد ابعد بتكوينهم النفسي، ولما كان مناخ العراق على هذه الصورة، فقد ولد حالة من التزمّت او "الحدية" بمعنى اتخاذ الموقف على وفق قاعدة، اسود او ابيض، هذا او ذلك، يمين او يسار، هذا العامل اذن ادى دوراً بارزاً في تسيد حالة التطرف و"المبالغة" غير الفعلة التي جعلت من العراقي حاد الطبع والمزاج، غير ان هذا العامل صادف ارضاً "اجتماعية" خصبة ساعدته على فرض ملامحه، التي تحتلت بالعزلة الكاملة وعدم الاختلاط بين مجتمعي الرجال والنساء على مدى قرون طويلة من التاريخ، حيث يرى علماء الاجتماع ان حضور المرأة في المجتمع العراقي من شأنه ان يهذب السلوك ويدفع بالرجل إلى ان يعنى بالمفاضة وتعابيره وثقافته وليجأ إلى أكثر وسائل التفكير والتعامل والحوار تحضراً، ويقدر ما يعيننا أصل

حسن العاني

بغداد



لقد وجد سكان وادي الرافدين انفسهم امام قدرهم السماوي مع آخرين امثالهم في تحمل زمام المسؤولية وقبادة الركب البشري إلى شواطئ التقدم والتحضر... فماداً يعني هذا؟ باختصار إنه "طغيان" السلوك الجدي في حياة الفرد أو الجماعة، والسلوك الجاد لا يعني بآية حال من الأحوال إنه على النقيض من المرح أو الظرف، ولهذا كان الاحساس الكبير بالمسؤولية دافعا إلى مسعى جاد في تجني الشعر وسبلة مفضلة على غيرها للتعبير عن الذات والأفكار والعواطف، من هنا يذهب مؤرخو الابد، إلى ان العرب بعد ان تصرفوا بجدية كاملة في توطيد مسؤوليتهم ورسالتهم بدءا بعصر ما قبل الاسلام فالعصر الاسلامي ثم العصر الاموي، عمدوا إلى تعظيم "جديتهم" بفنون المرح والنكتة في العصر العباسي لاحساسهم بان مسؤوليتهم الحضارية قد حُفقت مداها، وان عليهم ان يآخذوا قسطاً من الراحة، وهكذا "زأوجوا" بين جسدية المسؤولية ومستلزمات العصر.

على إن وراء عزوف العراقيين عن روح الدعابة والفكاهة وبالعيار النسبي العام تقف

تحديات الواقع العربي -2-

ذلك من آثار شديدة الوطأة على مسارات التطور السياسي والإقتصادي والاجتماعي في المرحلة القادمة.لقد أصبح الخيار الديمقراطي فكرا وحكما وقيما في الوطن العربي الآن بعد معاناة طويلة إستمرت لعقود ثقيلة من الزمن مع الأنظمة والحكومات الدكتاتورية عسكرية أم مدنية هو الخيار الوحيد والحل الصحيح والضرورة التي لا بد منها لتتمكن الامتنا العربية من تجاوز حالة الضعف والركود والإرتباك التي تعيشها وصولا لبناء مجتمع عربي حر مستوده الحرية والعدالة والسواوة بعيدا عن الإستبداد والقهر والتخلف ومؤسساتها وما ترتب على ذلك من صراعات وتدابيعات بين مختلف القوى والأحزاب والتيارات السياسية..وبرغم ما تحقق على هذه الأصعدة خلال أكثر من قرن إلا أن الفضل الأكبر كان في ميدان عدم تحقيق الديمقراطية وما تركه

سياسية متخلفة غير وطنية رهنّت إرادتها ووجودها في السلطة ببقاء الغزاة والمحظنين لم تكن إلا أدوات ذليلة طيعة تحركها كحف ومتى نشاء إذقت مواطنيها الأبرياء مثل صنف الإرهاب والتنكيل والإذلال والقمع والأضطهاد والسجن والقتل والنفي والتشريد والتهجير..إن الديمقراطية بما تعنيه من تداول سلمي للسلطة وتعددية سياسية وإحترام حقوق الإنسان وتبني مبدأ الأغلبية في الوصول للسلطة عن طريق إنتخابات حرة ونزيهة لا وجود لها كحقيقة ثابتة على أرض الواقع العربي ذلك أن الأنظمة العربية الحاكمة أنظمة إستبدادية تسلطية لا ديمقراطية تخاف وتهرب منها وتعتبرها عدوا شرساعليها مجابهتها والقضاء عليه ..

احزاب سياسية وعلى الجانب الأخر فإن أغلبية الأحزاب السياسية العربية قومية كانت أم

حررة ونزيهة تؤسس لمرحلة إدارية جديدة في إدارة الدولة..وبالعودة قليلا إلى الوراء سنرى إن القوى الإستعمارية التي هيمنت على الوطن العربي طويلا وإستنزفت موارده وخبراته ونهبت ثرواته ومزقت نسجه الوطني والقومي بعد أن جزأته إلى دويلات ضعيفة بعضها ضد بعض ويعد أن أقامت على أرضه بالقوة الكيان الصهيوني العنصري التوسعي لمع الأمة العربية من أن تحقق وحدتها القومية هي التي قد صنعت تلك ورعتها ووفرت لها الحماية والدعم كما إنها وبإسم الديمقراطية التي كانت مجرد إسم بدون مسمى ومصدرا للتندر والسخرية بين الأوساط الشعبية ومثار نقداح عند الطبقة السياسية والثقافية المعارضة للوجود الإستعماري الأجنبي والديمقراطية الصورية قد ساهمت بقوة في تخلف السياسية المطالبة بتوسيع إستعمرتها ومنها شعبنا العربي ونشرت بين ربوعها الدمار والخراب في شتى المجالات وسلطت عليها زما

حررة ونزيهة تؤسس لمرحلة إدارية جديدة في إدارة الدولة..وبالعودة قليلا إلى الوراء سنرى إن القوى الإستعمارية التي هيمنت على الوطن العربي طويلا وإستنزفت موارده وخبراته ونهبت ثرواته ومزقت نسجه الوطني والقومي بعد أن جزأته إلى دويلات ضعيفة بعضها ضد بعض ويعد أن أقامت على أرضه بالقوة الكيان الصهيوني العنصري التوسعي لمع الأمة العربية من أن تحقق وحدتها القومية هي التي قد صنعت تلك ورعتها ووفرت لها الحماية والدعم كما إنها وبإسم الديمقراطية التي كانت مجرد إسم بدون مسمى ومصدرا للتندر والسخرية بين الأوساط الشعبية ومثار نقداح عند الطبقة السياسية والثقافية المعارضة للوجود الإستعماري الأجنبي والديمقراطية الصورية قد ساهمت بقوة في تخلف السياسية المطالبة بتوسيع إستعمرتها ومنها شعبنا العربي ونشرت بين ربوعها الدمار والخراب في شتى المجالات وسلطت عليها زما

حسن عاتي الطائي

بغداد



**ثانياً : التحدي الديمقراطي**

من بين أكبر وأهم التحديات التي تواجهها امتنا العربية وهي تجتياز أخطر مرحلة تاريخية في نضالها المتواصل من أجل حريتها وكرامتها ووحدةها القومية وتقديمها الاجتماعي والإقتصادي والثقافي ولاسيما بعد التطورات الهائلة التي حدثت على المستوى العالمي على كافة الصعد والمستويات والتي افرزت الكثير من المعطيات والتحديات التي لم تكن موجودة من قبل وبالأخص بالنسبة لوطننا العربي بعد أحداث ما أصطلح على تسميته بـ (الربيع العربي) يأتي التحدي الديمقراطي لنقف في الصفوف الأمامية لتلك التحديات ويفرض نفسه بقوة على مسرح الواقع العربي المكتظ بالألغام والقنابل الموقوتة والمفاجآت غير المحسوبة..إن النظام العربي الرسمي الحالي السائد في الوطن العربي بكافة أنظلمته الحاكمة (جمهورية أم ملكية) ومختلف توجهاته الفكرية والسياسية نظام

تسلطي لا ديمقراطي غارق في نرجسيته لا يؤمن بالديمقراطية بشقيها السياسي والاجتماعي وإن حاول التظاهر بها ذلك أن تلك الأنظمة قائمة إما على حكم العائلة أو العشيرة أو تسلط الحزب الواحد أو القائد الأوحد أو إئتلاف غير ديمقراطي إلا بالإسم وأوتحت هيمنة مجموعة من الضباط وصلت إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري أو أي شكل آخر من أشكال الحكم الإستبدادي..

**احتكار سلطة**

إن تلك الأنظمة المعزولة شعبيا لا تحتكر السلطة وتمنع غيرها من القوى السياسية من أن تشاركها في الحكم فقط وإنما تعمل بكل ما تستطيع من قوة وبما تمتلكه من قدرات وإمكانات و وسائل القمع والتنكيل على وضع العراقيل أمام التطور الديمقراطي والتضييق على الأحزاب والمنظمات والحركات السياسية المطالبة بتوسيع قاعدة الحكم وفتح الطريق أمامها للمساهمة في العمل السياسي والمشاركة في الحكم من خلال إجراء إنتخابات